سمات الشخصية الموظفة عند نجيب محفوظ

الباحثة/ رضوي راضي فتوح عبدالفتاح

الملخص عربي:

"الرواية هي أكثر الفنون و أنواع القصص من حيث طولها ولكن الطول وحده هو الذ يميزها عن القصة أو الأقصوصة ،فالرواية تُمثل عنصراً أو بيئة ،أي أنها بُعداً زمنياً من المألوف أن يكون زمانها طويلاً ممتداً ،بل ربما اتسع البُعد الزمني ،فاستغرق عُمر البطل أو أعمار أجيال مُتتابعة "[1]

أي أن البطل حاكي الرواية وقضي عمره فيها وتركها لما بعده من أجيال لاستكمال المسيرة في الكتابة والمحاكاه ،والرواية نوع أدبي يُعد أطول نوع أدبي من حيث سرده للأحداث والحكايات .

وتعلم منها ومن قصصها وكانت الرواية طويلة لطول أحداث و طول سردها وزمنها التي تُحاكي فيه وطول مدة الزمن التي تسرده و كثرة أحداثها وأشخاصها .

الملخص بالانجليزي:

The novel is the most art and types of stories in terms of its length, but the length alone is what distinguishes it from the story or the story. successive generations"

That is, the hero imitated the novel and spent his life in it and left it for subsequent generations to complete the march and imitation, and the novel is a literary genre that is considered the longest literary genre of its narration of events and tales.

He learned from her and her stories, and the novel was long due to the length of the events, the length of its narration, which is simulated in it, the length of time that it recounts, and the large number of its events and people.

[1] -د.محمد مصطفي هدارة :دراسات في النثر العربي الحديث ،جامعة الإسكندرية ،مصر ١٩٩٢م ،الطبعة الأولي صـــ٣٨

مقدمة:

احتلت صورة المُوظف و شخصيته العديد من روايات الراحل الكاتب العالمي (نجيب محفوظ) ، ربما لأنه كان مُوظفاً ،عاش حياة الموظفين و الطفرات التي شهدتها والمعاناه التي مر بها كذلك .

و قد برزت شخصيات المُوظفين في رواية حضرة المحترم ، الثلاثية ، القاهرة الجديدة ،ميرامار ،الكرنك ،وغيرها من الروايات التي حاول فيها نجيب محفوظ إظهار الأنماط المتناقضة للمُوظفين و قضاياهم السياسية و الاجتماعية والثقافية ،وكذلك سمات شخصية كل موظف بداخل كل رواياته ،و أشار إلي الاستغلالي ،والمُرتشي ،والفاسد ،ورجل الدين ،وغيرهم .

ربما كتن محفوظ مولعاً بشخصية المُوظف ، لمواكبته صور الطبقة الوسطي التي كان عمودها الموظفون ،والتي كانت آخذة في التصاعد في مصر قبل أن يخفت بريقها تدريجياً ،أو يظهر أصحاب الرأسمالية مؤخراً في مصر و نواحيها .

" لا تخفي الأهمية التي يحظى بها المُوظف في التاريخ الاجتماعي المصري ، ومن ثم في عالم نجيب محفوظ ،الذي يعبر عن هذا التاريخ النثري طوال الفترة الممتدة منذ قبل ثورة ١٩١٩م ، إلي السنوات الأخيرة في القرن العشرين فلن يجد القارىء صعوبة في اكتشاف أن الأغلب الأعم من أبطال رواياته موظفون ، مُعدداً علي ذلك أمثلة : أحمد عاكف في خان الخليلي ومحجوب عبدالدايم في القاهرة الجديدة حسين كامل في (بداية ونهاية)وكامل رؤوبة في (السراب)و ياسين كمال و رضوان عبدالمنعم في (الثلاثية)،وعيسي الدماغ في (السمان و الخريف) وأُنسي ذكري في (ثرثرة فوق النيل)،وسرحان البحيري في (ميرامار) ،وحامد برهان في (الباقي من الزمن ساعة)وإسماعيل قدري في (قشتمر) ،وعثمان البيومي في (حضرة المُحترم) وهي الرواية التي تصل إلي الذروة في تجسيدها غير المسبوق لتقنية المُوظف وملامح عالم المُوظفين في الواقع المصري" ( )

الشخصية وسماتها :

هي السمات والعادات والتقاليد والأفكار لدى الإنسان التي تُكون مداركه وأفكاره وركيزة أساسية لتكوين شخصيته داخل كل فرد وتختلف من شخص لآخر .

عرّف النُقاد الشخصية بتعريفات متعددة ، وكلها تُظهر الدور الحيوي للشخصية في الأعمال الأدبية عامة ،والرواية خاصة :

فقد عرفها د. يوسف بـــــــ:

"الشخصية لا يبرر وجودها إلا الحدث الذي تقوم به أو بجزء منه، و الحـــدث لا يمكن أن يُقام به إلا ليطور شخصية تتأثر به "[1]

أي أن الحدث والشخصية مرتبطان ببعضهما البعض ، و لتطـــوير الشخـــصية ومكنونها لابد من وجود الحدث .

و أيضاً الشخصية تلك الانفعالات و السمات داخل كل فرد منهـــا المـــوروث ، ومنها المُكتسب من خلال تجربة كل شخص ،و لذلك تكوين شخصية كل فرد تختلف عن الآخر ،نتاج للخبرات و الثقافات التي مر بها إنسان عن غيره .

الشخصية عبارة عن مجموعة من الخصال و الطباع المتنوعة التي توجـــد فـــي كيان الشخص باستمرار ،حيث أنها تميزه عن غيره ،وتنعكس علي تفاعلـــه مـــع البيئـــة المحيطة به من أشخاص و مواقف سواء أكان ذلك مُرتبطاً بفهمه و إدراكـــه ،بالإضـــافة إلي القيم و الرغبات ،والميول ، و الأفكار ، والمواهب و التطورات الشخـــصية ، لكـــن لابد من لفت الانتتباه إلي ان مفهوم الشخصية لا يقتصر فقط علـــي المظهـــر الخـــارجي للشخص ،ولا سلوكياته و تصرفاته ،وصفاته النفسية بل العكس تماماً فهو يمثـــل نظامـــاً متكاملاً من هذه المميزات المجتمعية و بالتالي يُعطي طابعاً محدداً للكيان المعنـــوي فـــي الشخصية .

صورة المُوظف :

احتلت صورة المُوظف و شخصيته العديد من روايات الراحل الكاتب العـــالمي (نجيب محفوظ) ، ربما لأنه كان مُوظفاً ،عاش حياة الموظفين و الطفرات التي شـــهدتها والمعاناه التي مر بها كذلك .

و قد برزت شخصيات المُوظفين في رواية حضرة المحترم ، الثلاثية ، القـــاهرة الجديدة ،ميرامار ،الكرنك ،وغيرها من الروايات التي حاول فيها نجيب محفوظ إظهـــار الأنماط المتناقضة للمُوظفين و قضاياهم السياسية و الاجتماعية والثقافية ،وكذلك ســـمات شخصية كل موظف بداخل كل رواياته ،و أشار إلي الاستغلالي ،والمُرتـــشي ،والفاســـد ،ورجل الدين ،وغيرهم .

[1] – د. يوسف حطيني : مكونات السرد في الرواية الفلسطينية ،اتحاد كُتاب العرب بدمشق ١٩٩١ م ،الطبعة الأولي صـــ١٣

ربما كتن محفوظ مولعاً بشخصية المُوظف ، لمواكبته صور الطبقة الوسطي التي كان عمودها الموظفون ،والتي كانت آخذة في التصاعد في مصر قبل أن يخفت بريقها تدريجياً ،أو يظهر أصحاب الرأسمالية مؤخراً في مصر و نواحيها .

" لا تخفي الأهمية التي يحظى بها المُوظف في التاريخ الاجتماعي المصري ، ومن ثم في عالم نجيب محفوظ ،الذي يعبر عن هذا التاريخ النثري طوال الفترة الممتدة منذ قبل ثورة ١٩١٩م ، إلي السنوات الأخيرة في القرن العشرين فلن يجد القارىء صعوبة في اكتشاف أن الأغلب الأعم من أبطال رواياته موظفون ، مُعدداً علي ذلك أمثلة : أحمد عاكف في خان الخليلي ومحجوب عبدالدايم في القاهرة الجديدة حسين كامل في (بداية ونهاية)وكامل رؤوبة في (السراب)و ياسين كمال و رضوان عبدالمنعم في (الثلاثية)،وعيسي الدماغ في (السمان و الخريف) وأُنسي ذكري في (ثرثرة فوق النيل)،وسرحان البحيري في (ميرامار) ،وحامد برهان في (الباقي من الزمن ساعة)وإسماعيل قدري في (قشتمر) ،وعثمان البيومي في (حضرة المُحترم) وهي الرواية التي تصل إلي الذروة في تجسيدها غير المسبوق لتقنية المُوظف وملامح عالم المُوظفين في الواقع المصري" [١]

و يُشير الكاتب في نصه السابق إلي أهمية صورة الموظف وتناولها من قبل نجيب محفوظ حتب أصبحت كتاباته مادة ثرية لصورة المُوظف في تلك الحقيقة ،كان يكتب بكل حب لهذه الطبقة وسبب هذا ،جلوسه علي القهوة حيلة أن يستوحي معظم شخصياته في الكتابة مثل شخصية خالد صفوان الذي استوحاها من اللواء بسيوني الذي لمحه ذات مرة بجلوسه علي المقهي و مدي الذعر الذي سببه هذا القامع لكل من حوله بمجرد قدومه ،وغيرها كثير من الشخصيات ،نجيب محفوظ كان كاتب الطبقة الوسطي .

" يُضاف إلي دراسة الفلسفة والتاريخ والانحياز الدائم للواقعية منذ بداية الكتابة حتي النهاية –أن الكاتب (نجيب محفوظ) قد انحاز أيضاً إلي الطبقة البرجوازية –خاصة برجوزاية التجار الموظفين ،لكي يختار منها نماذج البشرية ،والبرجوازية طبقة كبيرة وخطيرة في كل المُجتمعات ..... لذلك فقد أرضَ أشواق شرائحها المُختلفة من القُراء والنُقاد و الأدباء والصحفيين .

وقد أسهمت البرجوازية المصرية كثيراً فس الحفاوة بكاتب يُعبر عن أذماتها الحادة ....وأشواقها المشروعة وغير المشروعة ،فمحفوظ هو كاتب البرجوازية

[١] –مصطفي بيومي: الوظيفة و الموظفون في عالم نجيب محفوظ ،دار الهلال ،القاهرة ،ديسمبر ٢٠١١م ،ص١٤١

المصرية ،الذي استطاع أن يعبر عن أهم أزماتها الاقتصادية والاجتماعية والعاطفية ،كذلك عبّر أيضاً عن بعض مشكلاتها السياسية المختلفة وقلقها الروحي ،الذس سيتصل بعلاقة الإنسان بالميتافيزقيا "[١]

يُعد نجيب محفوظ هو أول من تفرد علي ساحة الكُتاب لإبراز صورة الموظف في رواياته العديدة و تناولها و كيفية صيغتها ضمن الروايات وتناول فيها جميع الجوانب التي تخص الموظف و حياته من جوانب سياسية واقتصادية وثقافية ودينية ،وقد تناول أيضاً العثرات التي تعرض لها الموظف في وظيفته وحياته ،و أيضاً ذكر دور المرأة الموظفة داخل تلك الطبقة الكادحة أي (البرجوازية) و دورها السياسي الذي لا يقل عن دور الرجل ، فقد شُبع محفوظ كتاباته بهذا الجانب وجعلنا أمام وجبة رئيسية مليئة بالمعاناه والأفكار والمغامرات والطبقة الكادحة عامة .

رغم ان فورستر ليس صاحب الكلمة الأخيرة في بناء الرواية الا انه من الممكن ان نسلم ابتداء بتعريفه المتسع لها بأنها (كل عمل خيالي بالنثر يزيد على ٥٠،٠٠٠ كلمة) [٢]

الرواية :

تُعتبر بوصفها جنساً أدبياً من ضمن الأجناس الأدبية المتنوعة فإننا من خلال معرفتنا بالرواية ،نستطيع أن نُقسم دراسة الرواية إي عدة مراحل ،فهي تبدأ بمرحلة كتب الأخبار التي ظهرت في العصر الأموي و امتدت إلي العصر العباسى ،ونلمح صورة من الرواية العربية في سيرة عنترة و ذات الهمة ، والظاهر بيبرس ،بن ذي يزن ،وحمزة البهلوان .

"الرواية هي أكثر الفنون و أنواع القصص من حيث طولها ولكن الطول وحده هو الذ يميزها عن القصة أو الأقصوصة ،فالرواية تُمثل عنصراً أو بيئة ،أي أنها بُعداً زمنياً من المألوف أن يكون زمانها طويلاً ممتداً ،بل ربما اتسع البُعد الزمني ،فاستغرق عُمر البطل أو أعمار أجيال مُتتابعة "[٣]

أي أن البطل حاكي الرواية وقضي عمره فيها وتركها لما بعده من أجيال لاستكمال المسيرة في الكتابة والمحاكاه ،والرواية نوع أدبي يُعد أطول نوع أدبي من حيث سرده للأحداث والحكايات .

---

[١] -د. طه وادي: الرواية السياسة ،الطبعة الأولي ١٩٩٦م ،صـــــــ٢١٨

[٢] -: aspects of the novel :E m: forster p ١٣

[٣] -د.محمد مصطفي هدارة :دراسات في النثر العربي الحديث ،جامعة الإسكندرية ،مصر ١٩٩٢م ،الطبعة الأولي صـــــ٣٨

وتعلم منها ومن قصصها وكانت الرواية طويلة لطول أحداث و طـول سـردها وزمنها التي تُحاكي فيه وطول مدة الزمن التي تسرده و كثرة أحداثها وأشخاصها .

"إن أساس الرواية الجيدة هو خلق الشخـصيات ولا شـيء سـوي ذلـك ،إن للأسلوب وزنه ، و للحبكة وزنها ،وللنظرة الجادة وزنها ،ولكل شيء من كل هـذا وزن بجانب كل الشخصيات مُقنعة ،فإذا كانت الشخصيات مُقنعة فسيكون أمام الرواية فرصـة للنجاح ،أما إذا لم تكن كذلك فسيكون النسيان نصيبها "[١]

و الرواية بوصفها جنساً أدبياً من ضمن الأجناس الأدبية المتنوعة فإننا نجـد أن للرواية أنماط و أنواع:

أنماط الرواية هي :

الرواية التاريخية :

يستوحي الكاتب الروائي أحداث روايته وشخصياته من التاريخ ،ويـتم خلالهـا سرد أحداث وقعت في الماض البعيد ،وتركز غالباً علي الأحداث والشخصيات العظيمـة و الأبطال في عصر أو حقبة معينة ،ويهدف هذا النوع من الروايات إلي توطيد الـصلة والروابط بين الماض و الحاضر ،ويتوجب علي كاتب الرواية سرد المعلومات المتعلقـة بالأحداث و الشخصيات الحقيقة .

"الرواية التاريخية ذات طبيعة مُركبة ،أي أنها جمعـت أمـرين همـا الروايـة والتاريخ"[٢]

أي يستطيع الروائي سرد أحداث و حقائق ووقائع تاريخية حقيقية مـن خـلال الرواية و تدوين التاريخ وتسجيله يحتاج إلي سنوات طويلـة وشـهور عديـدة ،معظـم الروايات السياسة جُسدت في السينما خاصة روايات العالمي نجيب محفوظ لما حفره في الرواية من تجسيد تاريخ وأحداث حقيقة عاصرها ،وعاشها علي مـر زمـن عاصـره وعاشه لأن طويلاً ،جُسدت الروايات في السينما أو الدراما لأن الفـن ويطـور بوجهـة نظره الروائية أو السينمائية لما يخدم الحبكة أيضاً

" إن المؤرخ يُسجل بينما الروائي يخلق ،من هنا يمتاز الفن عن التـاريخ إذ أن الإنسان عن طريق الفن يستطيع أن يُحمل التاريخ وجهة نظر ،أو فلسفة خاصة من أجـل تطوير اللحظة الآتية بدلاً من أن يكون أداة سهلة في يد التاريخ " [٣]

---

[١] –د. يوسف حطيني : مكونات السرد في الرواية الفلسطينية ،اتحادد كُتاب العرب،دمشق ١٩٩١م ، الطبعة الأولي ،صـــ١٣

[٢] –حسين يوسف : الروائي التاريخي بين الحقيقة والخيال ،مجلة آداب الرافدين ،كلية الآداب ،جامعة الموصل ،العدد الرابع ١٩٩٢م ،صـــ١٧٤

[٣] –د . طه وادي :صورة المرأة في الرواية المعاصرة طبعة أولي ،صـــــــ١٨٦

يتناول التاريخ الأحداث و الوقائع الحقيقة ويحولها إلي مادة بحث لها نتائجها وأساليبها وظواهرها ، ويصور الصراع الداخلي بشكل موضوعي بحت ،ولكن يختلف التاريخ عند المؤرخ عن التاريخ عند الأديب وذلك لأن المؤرخ يُسجل الأحداث بنصها ويُخلدها بينما الأديب يحاكي الوقائع التاريخية من خلال الرواية من نظرة فنية خالصة وفريدة وموضوعية .

" من خلال رؤية المؤرخ وعمله ،ووظيفة الأديب و التشابه و الاختلاف والاتفاق من عملهم يوجد ثلاث معان للتاريخ :

١-التاريخ بوصفه واقفاً ومساراً وضرورة موضوعية ،يشمل ما يجري في المجتمع من أحداث وتطورات وصراعات منفصلة من الذات والنظرة الفريدة .

٢-التاريخ بوصفه خطاباً ونوعاً معرفياً ،يأخذ التاريخ كموضوع علمي وبحثي ،ويعطيه وجوداً ،ويحوله عبر إجراءات خطابية ومفهومية .

٣-التاريخ بوصفه حكاية أو قصة أو سرداً أدبياً ، مايقصه الأدب ويصوره النص ، ويقيمه مادة تشكيل أدبي ،تملك بُعدها التاريخي ،بسبب اندراجها في سياق زمني ،ويختلف التاريخ بمادته الحكائية في الأدب عن التاريخ عند المؤرخين "[١]

و المادة الحكائية هي مجموعة السمات و الميزات و الخصائص التي تُلحق أي عمل حكائي بنوع محدد و هو (السرد) و البنية السردية وسرد الأحداث داخل العمل القصصي أو الرواية .

كما أن التاريخ كمادة حكائية يختلف رؤيته عند المؤرخ عن رؤيته عند الأديب ،ولذلك لأن كل منهم ينظر للمادة التاريخ أو المادة كما يراها من وجهة نظره هو ليس غيره و التي تختلف في بعض السمات أو المميزات و العيوب عند الأدب و التاريخ .

و ذلك لأن الرواية هي التي تسجل احداث التاريخ ، بينما التاريخ أحداثه ثابتة لا تتغير ،والرواية هي التي تحول التاريخ إلي حكاية سينمائية أو درامية تسكن عقل المشاهد و تُظهر لنا الأحداث و الشخصيات وتكون شاهدة علي التاريخ ،بينما التاريخ هو الذي يؤرخها .

" الأدب لا يكتب التاريخ بل ينشيء منه عالماً مكوناً من الجذور و الشرائح الداخلية و السمات الدالة ، وهكذا يكون عمل المؤرخ قائماً علي المدلول التاريخي

[١] - د . حسن سالم هندي : الرواية التاريخية في الأدب العربي ،دراسة في البيئة السردية (١٩٢٦-١٩٩٧م) ،الجامعة المستنصرية ،كلية الآداب ،دار الحامد ، الطبعة الأولي ٢٠١٤م ،١٤٣٥هـ ،ص١٨

،وعمل الفنان قائماً علي الدلالة المستنبطة من هذا المدلول و من ثم تشكيل بنية أدبية دالة"[1]

يُعتبر الأدب حجر الأساس للتاريخ ودلالاته ويعطي معطيات للمؤرخ ليبحث في التاريخ ويستنبط النتائج حسب المعطيات وعليه يقوم تشكيل بنية تاريخية قوية و هذا هو عمل المؤرخ للنتائج و البحث .

أنماط الشخصية في روايات نجيب محفوظ :

ميرامار :

عامر وجدي :

رجل عجوز كان يعمل بالصحافة مُحنكاً قديماً و استقر به الأمر ان يذهب إلي بنسيون مدام ماريانا بعد أن تقدم به العمر و أراد يأخذ قسط من الراحة و النقاهة والاستقرار .

و كان يحب الذهاب إلي الإسكندرية حيث البحر و الماء و الهدوء .

" الإسكندرية أخيراً

الإسكندرية قطر الندي ، نفثة السحابة البيضاء ،مهبط الشعاع المغسول بماء السماء ،وقلب الذكريات المبللة بالشهد والدموع "[2]

هكذا وصف مسيو عامر مدينته المفضلة إلي قلبه وذكرياته ، ظل مسيو عامر بعمل الصحافة إلي أن تقدم العمر به دون زواج ،أخذته وطأة العمل وشدته و انغمس مع ميوله و أحزابه وولعه الشديد بالصحافة والعمل ،وانجرف في وطأة الثورة .

" أراهن عل أنك زرت الإسكندرية ، مرات ومرات في تلك الأعوام .....

أحياناً ، ولكن وطأة العمل شديدة ،،وأنت أدري بالصحافة ..

وأعرف أيضاً جحود الرجال ...

ماريانا يا عزيزة ، أنت أنت الإسكندرية

تزوجت طبعاً

كلا بعد !

تساءلت متقهقهة :

ومتي تتم النية و تقدم ؟

---

[1] – عمار بلحسن : نقد المشروعية ،الرواية التاريخية في الجزائر ،مجلة الفكر العربي ،عدد ٧٦،٧٧ حزران ١٩٩٠م ، صـ ٧٤

[2] – نجيب محفوظ : ميرامار ،دار مصر للطباعة ،الطبعة الرابعة ،صـــــــــــ١

قلت بنبرة لم تخل من الامتعاض ..

لا زواج ، لا أبناء ، اعتزلت العمل ، انتهيت يا ماريانا ...

شجعتني بحركة من يدها فواصلت قائلاً :

عند ذاك نادتني الإسكندرية ، مسقط رأسي ، ولما لم يكن لي من قريب حتي فقد قصدت الصديق

الباقي لي في دنياي "[1]

استرجع (عامر وجدي) ذكرياته مع ماريانا صاحبة البنسيون وحكي عما تعرض له ومواقفه السياسية مع رجال الدولة والدين ، وأظهر من خلال حديثه سمات شخصيته وصفاتها ، حكي عن ماذا فعلت به الأيام و كيف ضاع عمره وشبابه مخلصاً في عمله ، وكيف هذا كله جعله رجل ذو بأس و حكمة و عقل قوي و ذاكرة راجعة رغم تقدم العُم و مرور السنوات .

" عامر بك ، كن شفيعاً عند دولة الباشا .

وقلت للباشا :

يا دولة الزعيم ، ليس الرجل ذا كفاءة ممتازة ولكنه فقد ابنه في الجهاد و هو جدير بأن يرشح عن الدائرة .

وافق علي اقتراحي أسكنه اللّه أعز مكان في جنته .

كان يتابعني مقالاتي باهتمام صادق .... ومرة قال لي :

أنت كلبا الأمة الخافك ...

كان رحمة اللّه عليه ينطق القاف كافاً . وسمع بعض الزملاء القدامي من رجال الحزب الوطني فكانوا كلما رأوني صاح صائحهم :

أهلاً بكلب الأمة

لكنها كانت أيام المجد و الجهاد و البطولة .

كان عامر وجدي شخصاً فريداً ، له في الرجاء جانب يرده الأصدقاء ، و في الخوف جانب يتجنبه الأمة"[2]

[1] – نفسه صـــــــــ١١

[2] – مرجع سابق صـــ ١٣ ،١٤

اتسم بقدر من الثقافة و الشجاعة و المرونة وبعض الحذر و التوخي و استفاد من دراسته في الأزهر في تعاملاته السياسية وآراءه المختلفة الغير مستقرة المحايدة أحياناً .

كان في الأزهر فترة من الزمن ، و تم طرده لأسباب ما يراها هو تافهة و لا تستحق كل هذه الضجة ، ولكنه شخص لا يحب الجدال كثيراً ولكنه مقنع تماماً بكل معتقداته .

و تألم أيضاً لأنه طرده من الأزهر كان سبب فشل قصة حبه و جعله يشعر بخيبة أمل .

وأنه تأثر بالأزهر وتعاليمه و كان يحبه و لكنه له اهواء خاصة حادت به عن المنظومة بأكملها .

" لماذا لم تتزوج يا مسو عامر ؟

سوء الحظ ، ليتنا أنجبنا ذرية .

أوه .. كان كلا الزوجين عاقراً !

يغلب علي الظن أنك أنت العاقر ، إنه أمر مؤسف إذ أننا لم نوجد لكي ننجب .

ذلك البيت الكبير الذي تحول مع الأيام إلي فندق ، يراه السائر في خان جعفر كقلعة صغيرة ، وحوشه القديم الذي شق فيه طريق إلي خان الخليلي ، قد نقش في قلبي هو وما يكتفيه من بيوت قديمة و الكلبوب العتيق ، صورة تذكارية لنشوة الحب المشبوب المرتطم بخيبة الأمل .

العمامة واللحية البيضاء وقسوة الشفتين و هما تلفظان (لا) فنقضي في تعصب أعمي علي الحب الذي هبط إلي الدنيا قبل الأديان بمليون سنة .

مولاي ، إني أنشد القرب منكم علي سنة اللّه ورسوله .

صمت وبيننا فنجال قهوة لم يمس ، فقلت :

إني صحفي ، ذو مال ، و ابن شيخ كان خادماً بمسجد نبوي سيدي أبو العباس المرسي .

قال :

رحمة اللّه كان من التقاه المؤمنين .

و قبض علي المسجة ثم استطرد :

يا بني ، كنت منا ، جاورت الأزهر زمناً .

ذاك التاريخ متي ينسي ؟! قال :

ثم طردت من الأزهر ، أنت تذكر ؟

مولاي ، ذلك تاريخ قد انقضي ، لأتفه الأسباب كان بحق الطرد ، شاب هزه الشباب فاشترك في تخت مطرب ذات ليلة ، أو طرح بعض أسئلة ببراءة ....

قال بامتعاض :

قضي عليه قوم عقلاء بتهمة شنيعة .

مولاي منذا يستطيع أن يقضي علي إنسان بتهمة كالإلحاد ، و لا مطلع علي الفؤاد إلا اللّه ؟ ...

يستطيع ذلك من يسترشد باللّه ...

اللعنة ... منذا يزعم أنه عرف الإيمان . قد تجلي اللّه للأنبياء و نحن أحوج منهم إلي ذلك التجلي . و عندما نتحسس موضعنا في البيت الكبير المسمي بالعالم فلن يصيبنا إلا الدوار "[1]

كان يرتل القرآن الكريم كما تعلم في الأزهر و يتناول القليل من الخمر ، كانت تتسم شخصية

(عامر وجدي) بأنها متفردة فهو حتي في آراءه السياسية كان لا ينتمي لحزب بعينه ولكنه دائماً كان له رأي محايد في كل مواقفه و لكن في الحياة الاجتماعية يميل إلي قول الحق مع بعض الحذر .

" ولكن الشبان نجحوا في التغلب علي آلام الانتظار .

و فجأني منصور باهي قائلاً :

إني أعرف من تاريخك الشيء الكثير .

اجتاحني فرح صبياني كأنما رددت إلي فترة من فترات الشباب ، فمضي يفسر قوله :

راجعت الصحف القديمة مرات و أنا بصدد إعداد برنامج إذاعي .....

تطلعت إليه مستزيداً في اهتمام فقال :

تاريخ طويل حقاً ، أسهمت بقدر ملحوظ في شتي تياراته ، حزب الأمة ، الحزب الوطني ، الوفد ، الثورة

[1] - مرجع سابق : صـــ ٢٢،٢٣

قبضت علي الفرصة بجنون ، مضيت به إلي رحلة في رحاب التاريخ ، نوهت بمواقف لا يجوز أن تنسي ، استعرضنا الأحزاب ، حزب الأمة ماله و ما عليه ، والحزب الوطني ماله وما عليه ، و الوفد و حله للمتناقضات القديمة و قاعدته الشعبية من الطلبة والعمال و الفلاحين ،

لماذا جنحت بعد ذلك للاستقلال ، ثم لماذا أيدت الثورة ...

ولكنك لم تهتم بالمشكلة الاجتماعية الجوهرية ؟

فقولت ضاحكاً :

لقد نشأت عهداً بالأزهر فلم يكن غريباً أن أعمل كمأذون شرعي رسالته في الحياة أن يوفق بين الشر و الغرب في الحلال !

أليس غريباً أن تحمل علي النقيضين معاً ، أعني الإخوان و الشيوعين ؟

كلا ، كانت فترة وحيدة ، ثم جاءت الثورة لتمتص خير ما فيها معاً .

إذن فقد انتهت حيرتك ؟

أجبت بالإيجاب . ثم تذكرت حيرتي الخاصة التي لا تحل بحزب أو ثورة فرددت في نفسي الدعاء الذي لا يدري به أحد .

و آن الأوان فدفعت بقاربي المضطرب إلي بحر الأنعام و الطرب .

نشدته أن يكون من الأعضاء المتنافرة حسبما ينبض بالروح و الانسجام .

نشدته أن يعلمني التوافق و التوازن في بناء ترعاه عين الحب و السلام . أن يصهر عذاباتي في نغمة تنعش القلب و العقل بجمال البصيرة . أن يسكب الشهد المصطفي علي عناد الوجود "[1]

كان يغلب عليه طابع الهدوء و عدم الثرثرة و لا يخالط الكثير و هذا بحكم سنه و تقدم العمر و خبرته في معادن الناس كما فعل مع زهرة التي تعمل في البنسيون ووجهة في حبها السرحان البحيري و خوفه عليها الدائم وعلي شرفها من الشباب والرجال التي تقنط البنسيون وتمني عودتها للقرية إلي القرية لأنه يخشي ما يخشاه عليها من غدر الذي أحبته و من غدر أي رجل .

" مضيت إلي حجرتي كأنما لا أري و لا أسمع ولكن اجتاحني القلق . كيف تحافظ زهرة علي راحة بالها في خلية غاصة بالشباب ؟ و عندما جاءتني بقهوة العصر وسألتها :

[1] – مرجع سابق : صـــــ٥٥،٥٦،٥٧

أين تقضين عطلتك الأسبوعية مساء الأحد ؟

أجابت بابتهاج :

في السينما

وحدك ؟

مع المدام

قلت من قلب محب :

فليحفظك اللّه

ابتسمت قائلة :

إنك تخاف عليّ كما لوكنت طفلة

و إنك لطفلة يا زهرة

كلا تجدني في وقت الشدة كالرجال

قربت وجهى من وجهها الجميل المحبوب و قلت :

زهرة ....هؤلاء الشباب لا يعرفون للهو حدوداً ، أما عند الجد ...و فرقعت بأصابعى ، ولكنها قالت :

حدثني أبي عن كل شيء .....

إني في الواقع أحبك و أخاف عليك

أنا فاهمة ، لم أعرف رجلاً مثلك منذ أبي ، و أنا احبك أيضاً "[1]

و لأنه كان شخص يحب البحث و لن ينسي وضعه كصحفي و التحقيق والتأكيد من المعلومات ومصادره ظل وراء زهرة ماذا يدور بعقلها و بمن يتعلق قلبها ، لخوفه عليها من وحدتها و غربتها و استغلال أحد الشباب لها ولطيبتها و لعفويتها و إنها تتعامل بحسن نيتها و غير متوقعة ندالة البعض ، أو سوء ظن البعض بها و استغلالها .

" و ذات أصيل ذهبت كالعاجة إلي مجلس بالمدخل فرأيت زهرة جالسة إلي جانب فتاه عزبة علي الكنبة من لمحة أدركت أنها المُدرسة ، فتاه ريفية و جميلة و قد تكرمت بالحضور إليها بسبب وجود زوار في شقتها ، و كالعادة كانت المدام قد استجوبتها و عرفت عنها بعض ما تتطلع إليه فأخبرت بأنها تقيم مع والديها و أن لها أخاً يعمل في السعودية .

وتكرر حضور المُدرسة للبنسيون ، و كانت تثني علي اجتهاد تلميذتها .

---

[1] – نفسه صـ ٥٨،٥٩

و لا حظت مرة و زهرة قادمة بقهوة العصر أنها متجهمة فسألتها عن الـــصحة فأجابتني بفتور :

كالبغل ..

و الدروس

لا شكوي من هذه الناحية

فقلت بقلق :

لم يبق إلا صديقنا البحيري

و صمتنا بعض الوقت كأنما لنصفي إلي صوت المطر المنهمر ، ثم قلت :

لا أطيق أن أراك متألمة

فقالت بامتنان :

إني أصدقك

ماذا حدث ؟

الحظ يعاندني

قلت لك من أول يوم ....

ليس الأمر بالسهولة التي تتصورها !

ثم نظرت إلي بكآبة و قالت بانفعال :

ما العمل ؟ إني أحبه ؟ ما العمل ؟

هل تبين لك كذبه ؟

كلا ، إنه يحبني أيضاً ، و لكنه يتكلم دائماً علي العقبات .

لكن الرجل إذا أحب ...

فقالت بإصرار :

إنه يحبني و لكنه دائماً يتكلم عن العقبات

فقلت بجنان :

و لكن ما ذنبك أنت ؟ يحب أن تعرفي لنفسك طريقاً .

فمضت و هي تقول :

ما قيمة أن تعرف ما يجب عمله ما دمت لا أستطيعه ! "[1]

[1] – مرجع سابق صـــــ ٦٧،٦٨،٦٩

و رغم أنه لا يريد التدخل في أمور الغير ومنفصل بحاله إلي حد ما إلا أنه لا يراقب الأشخاص من بعبد و بفطنته المعهودة و ذكائه يستطيع الحكم علي الآخرين مهما بدر و ظهر من طيبة قلب و لكن بحكم عمله و سنه كان يستطيع فك شفرات من أمامه و يقرأ عيونهم و لغة الجسد الخاصة بهم و قراءة ما يخفيه الآخر من مشاعر و سلوك و طبع ، و هذا ما فعله مع البحيري رغم تمسك زهرة به وحبها له إلا أنه له وجهة نظر أخري فيه ، ويراه على حقيقته و انه يتلاعب بمشاعر زهرة و مشاعرها ، وذلك عندما ترك البنسيون و ذهب إلي الخارج لاستنشاق الهواء و تغيير مناخ البنسيون و هناك قابل سرحان البحيري ، وهناك دار الحوار بينهما الذي أعلن فيه انه يتخلي عن زهرة ويتزوج من أخري وبذلك أثبت ما كان يراهن عليه عامر وجدي ، تيقن من رؤيته للبحيري و من أخلاقه و طباع وسماته و انه شخص لا يؤتمن و أنه ترك زهرة من أجل امرأة أخري فهو لا يعرف للحب معني ولا مشاعره صادقة اتجاه زهرة .

"غادرت البنسيون عقب أيام حُبست فيها داخله لشدة البرد و ثورة الرياح وانهلال المطر .كانت أياماً فظيعة فانطونيا علي أنفسنا في الحجرات ، و لكن لم يكف الجو عن مهاجمتها في قواقعنا ، لطمت المياة النوافذ ، و زلزلزت الجدران بصواعق الرعد ، ومض كالنذر ، وصرخت الرياح كعزيف الجان .

ولما غادرت البنسيون استقبلني الوجه الآخر للإسكندرية ، الذي أفرح غضبه . وثاب إلي وداعته ، تلقيت الشعاع الذهبي المغسول بامتنان ، نظرت إلي الأمواج وهي تتابع في براءة ، علي حين نقشت السماء بسحائب صغيرة متهافتة كالأنفاس المترددة .

جلست التريانون لأشرب قهوة باللبن . كما كنت أجلس في الأيام الخالية مع الغرابلي باشا و الشيخ جاويش ، و مدام لبراسكا الأفرنجية الوحيدة التي جربتها وسط طوفان من الملاءات اللف !.. جلس معي طلبة مرزوق بعض الوقت ثم انصرف إلي بهو وندسور لمقابلة صديق قديم . و إذا بسرحان البحيري يقبل نحوي فيلم ويجلس ثم يقول :

فرصة سعيدة ..دعني أودعك فقد لا ألقاك و أنا أغادر البنسيون !

سألته بدهشة :

هل عزمت علي الرحيل ؟

فأجاب بصوته العريض :

نعم، انتهت الإقامة، ولو ذهبت دون أن أودعك لأسفت على ذلك طيلة العمر!

شكرت له رقته ، ولكني تجدت أسئلة تلح علي ، غير أنه لم يهبني فرصة لمزيد من الكلام إذ يلوح بيده لشخص قادم صافحني و ذهب .

و سألت نفسي في قلق و كآبة : ماذا عن زهرة ؟

و لما رجعت إلي البنسيون وجدت المدام وطلبة مرزوق و زهرة مجتمعين في الداخل ، مغلفين بكآبة أبلغ في إفصاحها عن أي تفجع أو ندب ! لست صامتاً و قد وضح لي ماوددت أن أسأل الآخر عنه .

قالت المدام :

تكشفت أخيراً ذاك السرحان عن حقيقته .

تمتمت :

قابلني منذ ساعات في التريانون فأخبرني بأنه سيغادر البنسيون!

الحق إني طردته !

ثم وهي تشير إلي زهرة :

هاجمها بلا حياء ، ثم أعلن بأنه ذاهب ليتزوج من المدرسة !

نظرت إلي طلبة فنظر إلي و قال ساخراً :

أخيراً استقر رأيه على الزواج !

قالت المدام :

لم يرتح له قلبي أبداً ، من أول نظرة فهمته ، شرير لا خلاق له !

ثم واصلت حديثها :

أراد مسيو منصور باهي أن يناقشه و إذ بمعركة جديدة تشب فجأة ، عند ذاك صرخت في وجهه أن يخرج إلى غير رجعة !

نظرت إلي زهرة بإشفاق . أيقنت أن اللعبة قد انتهت ، و أن الوغد قد ذهب بلا جزاء . و غضبت غضبة كغضبات الأيام المريرة ثم قلت لزهرة :

إنه وغد لا يستحق أن تأسفي عليه ! "[1]

دائماً ما كانت ل (عامر وجدي) نظرته الثاقبة و انتظاره للأحداث و عدم الحكم على الأشخاص من أول وهلة ، إنه يدير الأفكار برأسه قبل أن يخرجها أو يصدر أي حكم أو قرار على الآخرين ، كان يتسم بالمرونة والهدوء و الهدوء و التروي فيما يجري حوله من شخصيات و أحداث و أماكن وسرد للحدوتة بأكملها .

[1] -مرجع سابق صـــــــ٧٩،٨٠،٨١

كان يود عامر وجدي أن ينفرد بذكرياتي في البنسيون ، ويقضي قسط الراحة هناك ليرتاح من مشقة العمر والعمل معاً .

و لكن أحداث البنسيون كانت عكس ما توقع و ماتمنى أن يجد .

و برغم من هدوئه و عدم انفعاله او اندماجه الشديد مع أحد أفراد البنسيون فله طريقته الخاصة و أسلوبه الحالم ، إلا أنه تعاطف تماماً مع زهرة و كان مشغول للغاية بقضيتها و حياتها و ماذا ستفعل بعد رحيل ذاك الوغد ،إنه كان يحبها حب الأب لابنته وكانت تبادله نفس الشعور ، فهي تتلقى منه حنان الأب الذي حُرمت منه ، و لا تجد احد يخاف عليها سواه ويخشى عليها من غدر الزمان .

" ها هي زهرة كما رأيتها أول مرة لولا مسحة من الحزن . أنضجتها الأيام الأخيرة أكثر مما أنضجتها أعوام العمر السابقة جميعاً .

تناولت الفنجال من يدها و أنا أداري انقباضى بابتسامة .

قالت بصوت طبيعي :

سأذهب صباح الغد ..

كنت حاولت إثناء ماريانا عن رأيها ولكنها أصرت عليه بعناد .و من الناحية الأخرى صارحتني زهرة بأنها لن تقبل البقاء حتى لو عدلت المدام عن رأيها .

وعادت تقول بثقة :

سأكون أحسن مما كنت هنا .

فقلت بحرارة :

حمداً للّه ...

فافتر ثغرها عن ابتسامة حنون وهي تقول .

لن أنساك ما حييت أبداً ....

أشرت إليها أن تقرب وجهها مني ، ثم قبلت خديها بامتنان و أنا أقول :

أشكرك يا زهرة ...

ثم همست في أذنها :

ثقي من أن وقتك لم يضع سدى ، فإن من يعرف من لا يصلحون له فقد عرف بطريقة سخرية الصالح المنشود ..." (١)

١ -نفسه صـــــــ٨٢،٨٣

عامر وجدي شخصية صبورة يستطيع التعامل مع مجريات الأحداث والأشخاص من حوله ، و كان من عاداته أيضاً الذي تربى عليه عند شعوره بالضيق والحزن يرتل بعض الآيات من القرآن الكريم حتي تهدأى نفسه ويستطيع التفكير مرة أخرى، ويترك الحزن كما ترك و تخلى عن أشياء كثيرة من أجل السياسة و العمل واستقراره النفسي .

عاش وجدي حياته كلها وحيداً لا يملك من الدنيا إلا سمعته الطيبة في العمل كصحفي شهير ، و بعض المال الذي يعيش منه ، فكان لا يهمه جمع المال و الشهرة والسلطة .

عاش حياته طموح وشغوف للصحافة و السياسة و مثقف ، ولكنه دون أهل ولا أبناء ضاعت حياته دون أن يشعر ولكنه واع وملم بكل الأمور الحياتية و يفهم ما بداخل كل الشخص ويستطيع الحكم عليه وعلى تصرفاته و سلوكه .

تتنافر الشخصيات على مستوى الأفكار و الموقف من الحدث بداخل البنسيون ، فعامر وجدي قد أتى إلى البنسيون ليقضي فيه بقية حياته في هدوء ويجتاز ذكريات الأيام المجيدة التي كانت خاتمتها الخيبة والمرارة ويستجمع قواه لمواجهة اختلاف الثقافات بكل الشخصيات المحاطه به .

حسني علام :

يلجأ إلى البنسيون هرباً من طبقته الأرستقراطية ، بل و من كل ما يذكره بها كفندق سيسيل الفخم الذي ضاق به الحال فاستبدل به فندث ميرامار ، حاملاً معه ذلاً من نوع آخر و ثورته على أهله ، بأنه يرفض الزواج من قبل إحدى قريباته و يبحث عن مشروع أحلامه .

شاب صغير في السن ، قوي البنية صاحب أملاك من أعيان طنطا جاء ليقنط بالبنسيون .

بلا شهادة و لا عمل جاء إلي الإسكندرية لإقامة مشروع ، كانت شخصيته حاقدة دائماً على الآخرين خاصة من أصحاب الشهادات المتعلمين لأنه جاهل غير حاصل على شهادات أو أي مؤهل .

ينظر للآخرين على أنه يستطيع شراءهم عن طريق المال ، حيث كتن أبوه من الأعيان في طنطا و إخوته علي قدر من التعليم والثقافة و المكانة الاجتماعية ، بينما هو سائر إلى ملذاته دون هدف أو طموح يتباهى بأصله و ماله فقط .

" على مائدة الإفطار تم التعارف بيني و بين النزلاء الآخرين .

عامر وجدي صحفي متقاعد في الثمانين على أقل تقدير ، نحيل مع ميل إلى الطول ، وذو صحة يحسد عليها ، ووجهه المتجعد الغائر العينين البارز العظام لم يدع للموت شيئاً يلهمه . كرهت منظره ، وعجبت كيف يبقى حياً على حين تهلك أجيال من الشباب كل يوم .

طلبة مرزوق لم يكن بالغريب على . وقد علق عمي ذات يوم بعطف على وضعه تحت الحراسة ، و لكني لم أشر إلى ذلك بطبيعة الحال . كنا ومازلنا نتابع أخبار الحراسة بشغف شهواني مخيف كأفلام الرعب . و قد سألتني :

من آل علام بطنطا ؟

أجبت بالإيجاب . وبسرور خفي فقال :

عرفت والدك كان مزارعاً ممتازاً .

ثم التفت إلة عامر وجدي – و كان يغادر المائدة و قال ضاحكاً :

و لم يقع رحمة اللّه طويلاً تحت تأثير المهرجين !

و لما أدرك أنني لم أفهم ما يعنيه قال :

أقصد الوفديين .

فقلت بعدم اكتراث :

مدى علمي أنه كان وفدياً عندما كانت البلاد كلها وفدية ....

آمن علي قولي ثم عاد يسألني :

أظن لك إخوة و أخوات ؟

أخي قنصل بإيطاليا و أختي زوجة لسفيرنا في الحبشة !

فتحرك شدقاه حركة راقصة ثم سألني :

و أنت ؟

كرهته في تلك اللحظة حتي وددت له الموت غرقاً أو حرقاً ، ولكنني أحببت باستهانة :

لا شيء

ألا تزرع أرضك ؟

الخاتمة

كرهته في تلك اللحظة هو الآخر . به لهجة ريفية خفيفة لصقت به كرائحة طعام في إناء لم يحسن غسله . وهو حيوان لا يسع مرفت أن تضمه بأنه غير متعلم أو غير مثقف . وإذا سولت له نفسه أن يسألني عن شهادتي فسأقذفه بقدح الشاي . "[١]

كان حسني علام ساخطاً على ماضيه و واقعه و كان المال معه و مظاهر الغفنى والثراء يحاول يبديها دائماً للآخرين . ويحاول بشتى الطرق التخلص من فكرة العيش بطنطا إلا أنه ينتظر أجر أراضيه ، ويقضي وقته في الفسح و الخروج .

كان يري الحلم في الإسكندرية حيث المشاريع و المظاهر الخادعة و الوجاهة بما أنه مالك لرأس المال و الإرادة .

و الحقيقة أنه فاقد الأحلام و الطموح و الثقافة ويجري وراء العبث لقضاء وقت فراغه في التباهي بمظاهر الثراء الثراء الفاحش ، ليعوض نقصه الذي يعانيه من جهله .

" استقللت سيارتي الفورد بلا هدف معين سوى رغبتي الأبدية في التجوال والسرعة . وقلت لنفسي إنه من المستحسن ألا أنبذ سرحان البحيري فقد أجد نفعاً في خبرته ومعارفه بالمدينة . وانطلقت بالسيارة إلى الأزاريطة فالشاطبي فالابراهيمية إلخ ، في سرعة خاطفة استجابت بها أعصابي المتوثبة.

اخترقت هواء نشيطاً لطيفاً منعشاً تحت سماء ظلها الغمام . وبدا الكورنيش المخفوف بزرعه البحر نظيفاً نقياً ، قد تظهر من عرق المصيفين وصخبهم ، وقلت بتصميم لن أعود إليك يا طنطا إلا لأقبض نقوداً أو لأبيع أرضاً ، فلتذهبي بذكرياتك إلى الجحيم "[٢]

اتسم حسني علام بشخصيته الفظة فهو شخص غير ودود حقود على غيره ، علي أصحاب الشهادات و المثقفين و أيضاً من بداخلهم سلام نفسي ، فهو لا يعرف للحب معنى إلا عن طريق نزواته ، من معتقداته أنه يستطيع شراء أي امرأة جميلة وقضاء ليلة معها ، حيث أنه أتى من بلده هروباً من الزواج من قريبته و يهرب بذلك بقضاء ليالي مع نساء و شهواته وملذاته ولياليه في السر و الخفاء دون الزواج .

---

[١] -مرجع سابق صـــــــــ٩٤،٩٥،٩٦

[٢] -نفسه صـــ٩٨

برجوازي صغير و امتداد لطلبة مرزوق ولكنه عابث دائماً يبحث فقط عن ملذاته و شهواته و ينزل إلي الإسكندرية بحجة مشروعه وتجديد لطاقته و ضياع وقت فراغه ويلهو حتي ينتهي يومه و يكرره و هكذا .

برضاها أو أحياناً رغماً عنها كل همه هو اصطحابه لأي فتاه و قضاء ليلته معه حتي زهرة لم تسلم منه .

المراجع

- معجم مقاييس اللغة (٤٤٣/٤)،و تاج اللغة وصحاح العربية ،إسماعيل بن حماد الجـــوهري (ت٣٩٣هـــ)،دار العلم للملايين ،بيروت ،الطبعة الرابعة ،١٩٩٠م،(٤١٥/٦)
- صحيح البخاري، كتاب الزكاة ، باب أخذ الصدقة من الأغنياء و ترد في الفقــراء حيــث كانوا ، حديث رقم ١٤٩٦.
- عبدالوهاب الكيالي: موسوعة السياسة ،٤٦٠ ، الطبعة الثالثة ،المؤسسة العربية للدراســات والنشر ،بيروت ١٩٩٥م ،صـــ٥٧
- نجيب محفوظ :ميرامار، دار مصر للطباعة ،صـــ٥٨،٥٩
- نجيب محفوظ :حضرة المحترم ، دار مصر للطباعة ،١٩٧٥م ،الطبعة الأولى ،صـــ١٣